

بسام كوسا ممثل بألف وجه ضمن شخصية واحدة لا تليق إلا به

تألت كاريس بشار في دور يدمج الذكاء الشيطاني مع الأنوثة الطاغية



سارة سلامة

استطاع مسلسل «سلاسل ذهب» (إنتاج شركة «غولدن لاين» ومن تأليف وسيناريو وحوار سيف رضا حامد وإخراج إياد نحاس)، أن يشكل علامة فارقة في الموسم الحالي ضمن الأعمال السورية، ولاسيما الأعمال الشامية، فكان العمل السوري الأول خلال شهر رمضان المنصرم، من جهة المتابعة والتفاعل عبر شبكات التواصل الاجتماعي في سورية، بوسم (هاشتاغ) سلاسل ذهب، على حين احتل المرتبة الرابعة على الصعيد العالمي العربي في فئة الدراما السورية، وفق أرقام برنامج «المشهدية» على شاشة قناة «المباين»، وما يحمله انتشار واسع لمقاطع فيديو من مواقف ضمن مشاهد، إشارة لنجاحه الفني والجماهيري.

الابتعاد عن النمطية

اعتمد العمل في واجهة قصته على صراع «مهبوب» الصانع وبائع الذهب الداهية وزير النساء، مع طليقته «ذهب» و«زكية»، اللتين تحاولان الانتقام منه واسترداد حقوقهما منه، ليلبثن من هذه الحرب رقعة واسعة من المؤامرات المتبادلة في الحارة، على حساب أهلها الذين يصحون ضحايا الفريقتين المتخاصمتين. والأهم من حيث الشكل، أن الشخصيات والأحداث اتبعت قدر الإمكان عن النمطية في هذا النوع من الأعمال، حيث تسببت في الأغلب كراكتيرات «الزعيم» و«العكيد» و«القبضيات» وحرب المستعمر.

وعلى النقيض من ذلك، سارت القصة بطولية نسائية وتشترك مع الرجل نداءً إلى نداء، يذكاء أمام عدسة المخرج إياد نحاس ضمن خطوط متشعبة وكثيرة ضمن هوية «الحدوثية» التي تتزج بين المنطق الكائني والخيال والتشويق الحدتي مع الكثير من المواقف الكوميديّة الطريفة التي لوت التراجيديا، في مشاهد تحمل إسقاطات معاصرة وصالحة لكل زمان ومكان مع الاحتفاظ بخصوصية السنجع الاجتماعي العام للحارة القديمة، حول الحب والشهوة والواجب والغيرة والطمع ومفهوم الشرف وتراحم الأولويات مادياً ومعنوياً والحريّة والضيوع والسطة، وحتى النجل والسحر اللذين أصبحا يتمتعان بفضائيات خاصة في يومنا هذا. في هذا

الإطار استطاع نحاس شيك النص بالصورة ضمن إيقاع للكاميرا زاد من حيوية الورق، وفرد مساحة واسعة لحركة الممثلين، ضمن مشاهد أوصلت الشعور الدرامي من دون تصنع إلى المشاهد.

ارتفاع مستوى الدراما الشامية

ومن ناحية توزيع الأدوار، يحسب لشركة «غولدن لاين» التي رفعت من شأن الدراما الشامية وتطويرها في تجارب سابقة كـ«خاتون» و«وردة شامية»، إعادتها الفنان القدير بسام كوسا إلى الدراما الشامية بعد غياب منذ «الغريال» (تأليف سيف رضا حامد وإخراج مروان بركات) في موسم ٢٠١٥، وإيضاً عودة الممثلة الكبيرة مها المصري وابنتها النجمة ديمة بياعة بعد غياب ثماني سنوات، مع دخول النجم الشاب سامر إسماعيل للمرة الأولى إلى هذا النوع الدرامي، ليشاركوا في البطولة إلى جانب الفنانين كاريس بشار وشكران مرتجي وجيني إسبر وعبد الهادي الصباغ وصباح الجزائري وسحر فوزي وعلي كريم وعلي سكر وزينة باراني وطارق عبود وأنس طيارة ورفف الربيعي وريام فخرية وسارة بركة وفاتن شاهين وطيف إبراهيم ووزان أبو رضوان وسواهم.

ممثل بألف وجه

وتميز بسام كوسا في تجسيد شخصية «مهبوب» بأداء غير عادي قائم على التحكم الكلي بكل نظرة سواء من خلف النظارات أم من فوقها، وبكل كلمة سواء في توزيع الإيقاع ضمن الحوار أو في النبذة، ضمن ما يتطلبه دوره من تلون في حالات الدفاع والهجوم من المواقف الغرامية إلى المواقف الاحتياطية، مروراً بمواقف السلطة والقرار والتهديد، فظهر ممثلاً بألف وجه ضمن شخصية واحدة لا تليق إلا به.

واستطاعت كاريس بشار التآلق بخلق أدوات جديدة لشخصية «ذهب»، وزعم أرشيها الكبير في الأعمال الشامية وضيق الخيارات، فإنها ابتكرت الكثير من الحركية للور الذي يخنص بدمج الذكاء الشيطاني مع الأنوثة الطاغية، فأصبح دلغها ومنشيتها «تريند» على مواقع التواصل الاجتماعي.

وشكلت ديمة بياعة ثنائيتها الموسم مع بشار بشخصية «زكية»، في بناء اعتمد على التناقض بين شخصيتين، الأولى هي الشخصية الحريصة والثانية هي الغيبية صاحبة اللسان الطويل، قدمت أداءً عالياً وعفويًا بحيث جعلت الجمهور

بانتظار ما ستوقع به شريكتهما من مشاكل و«توريطات» وبدورها جسدت ببراعة عالية الفنانة القديرة صباح الجزائري في مرحلتين دراميتين مختلفتين العجوز الواقعة في شباك الحب مثل المراهقين، والأم المحزونة التي عادت إلى طبيعتها بعد أن أفقدها «مهبوب» توازنها».

سيدات البيئية الشامية

ومرة أخرى تثبت الفنانات الكبيرتان سحر فوزي ومها المصري، أنهما من سيدات البيئية الشامية، إذ تلبسانها عبايتها وتسيران بها من دون أي تكلف، بل تحملان في كل جملة رنة اللهجة الشامية إلى أقصى درجة. واستطاع من جهته سعد مينة أن يخرج دور «رئيس الكراكون» من صورته النمطية، فهو ليس شريكاً فاعلاً في المؤامرات فقط، بل عاشق متمم أصابته سهام «ذهب» فتحتت بعقله وقلبه وروحه، فاستطاعا في مشهد رئيس عند التقائهما للمرة الأولى أن يشدا عين المشاهد إلى ردود أفعالهما ويعونهما قبل أي كلام نطقا به، وحركت الممثلة الكبيرة شكران مرتجي المياه الراكدة في شخصية «الداية»، لتخرج عن إطار نجل الكلام وتوليد النساء، إلى الفاعلية في حياة الداسس في الحارة بإيعاز من «مهبوب»، من دون

أن تتخلي عن طرافة أدائها وضحتها وميزة إضافتها اللازمة للشخصية «يا نضر عيني». وأبرزت النجمة جيني إسبر أنوثة بوجهين مختلفين أمام «أبو خالد» بأداء باهر من الفنان القدير عبد الهادي الصباغ، وأمام «سليم»، فطلعت في مرة، وخجلت في أخرى.

ضحكة ودمعة

ومن جهتهم، استطاع النجوم الشباب أن يسيروا في أوارهم من مستوى الإقناع فصعوداً، وخاصة سامر إسماعيل الذي اعتمد على الأداء الداخلي، وعلي سكر الذي أصبح صاحب باع طويل في الأعمال الشامية، وريام فخرية ورفف الربيعي اللتين شكلتا ضحكة ودمعة في التبادل ضمن منزل «أبو خالد»، إضافة إلى أنس طيارة بأداء دافئ وطارق عبود بتجسيد متقن، ويارا قاسم بلعب لافت يبشر بالكثير، على حين استطاعت زينة باراني أسر الجمهور بالتعاطف معها في إبراز ما تعرضت له من ظلم وتلاعب ومشاهد غاية في الصعوبة ضمن مستوى التمثيل داخل التمثيل خلال مشاهد «مس الجن». أما إذا ما ذكرنا نقاط الضعف التي ظهرت في العمل فقد حمل في منتصفه القليل من الإطالة وركوداً بالأحداث.

قنوات نهر بردى اسم على مسمى



إ | منيركيال

كان لنهر بردى بمدينة دمشق، الدور الأكبر بقيام هذه المدينة، وذلك بتوفير المياه اللازمة للإنسان، فضلاً عن حاجات الحيوان والنبات، نتيجة وجود نظام فريد من نوعه يلبي جميع الاحتياجات لمدينة دمشق وغوطتها.

وقد توارث الدماشق هذا النظام منذ أيام الآراميين، فلما كان العصر الأموي تعاطفت تلك الجهود، نتيجة لتوسع الأراضي الزراعية، وتعدد المرافق التي تحتاج إلى المياه، بحيث شملت الحمامات والمساجد والحدائق فضلاً عن متطلبات الإنسان، والحيوان.

وقد تمثل ذلك بحفر الأنفاق وشق الأقبية، وجر المياه إلى كل مرفق وإلى كل ذرة تراب، تحتاج إلى الماء، حتى إن من الممكن القول إن نهر بردى يمثل الرئة لمدينة دمشق.

ينبع نهر بردى من واد ضيق بالسفوح الشرقية لجبال لبنان الشرقية، وترفده مياه ينابيع عين الفيحة، بعد مروره بسهل الزبداني.

لم يكن نهر بردى قادراً على تجاوز الشريط الضيق من الخضرة للأراضي المجاورة لجراه، لولا قيام الإنسان منذ العصر الآرامي بجعل مياه بردى قادرة على الوصول بعيداً عن مجراه الأمر الذي نجم عنه اتساع الأراضي الزراعية، وتوسع المحاصيل الزراعية.

وقد اشتقت من نهر بردى القنوات أو الفروع التالية:

يزيد ونورا والمزاوي والدراقي وبانبايس وقنوات، ومن هذه القنوات ما كان على يمين مجرى نهر بردى، ومنها ما كان على يساره.

فقد اشتقت قناة يزيد على يسار نهر بردى بالقرب من بلدة الهامة، وهي تعود إلى العهد الروماني، وقد تطورت واتسعت زمن خلافة يزيد بن معاوية فسميت باسمه.

ومجرى هذه القناة مرفوع بنواعير لتوفير المياه للأراضي التي ترتفع فوق مستوى مياه قناة يزيد، فكان مجرى هذه القناة يسفح قاسيون حتى محلة البروة ثم يقب هذا المجرى بأفلاق، بحيث يمكنها تقديم المياه لمنطقة المهاجرين والمالكى وشارع بغداد والعفيف والصالحية.

وقد اشتقت قناة نورا أيضاً عن يسار مجرى نهر بردى، وهي تعود إلى العهد الآرامي، وهي تشارك مع مياه قناة يزيد بتوفير المياه اللازمة لسفح جبل قاسيون والمهاجرين والصالحية والحواكير وأبو رمانة والشعلان، كما توفر المياه إلى منطقة ركن الدين وشارع بغداد، وسوق ساروجة

رتبة الفلسفة في الشعر العربي

لا تُنال إلا بالمعاناة



المعري



بدر شاكر السياب

تحول المرء إلى فيلسوف على النحو الذي تحول فيه سقراط وعبد الوهاب مسألة جدية بالدراسة والتأمل

بدأت تتردى في ذلك الوقت، ويقول بعض من عرفه في تلك الفترة المرة من حياته، إنه كان يقول لهم «إنه هو ورفاقه في دار المعلمين العليا في بغداد، من أجل أن يصبحوا شعراء، كانوا يقرؤون في الشهر الواحد ما لا يحصى من الكتب العربية والأجنبية، وإنهم استظهروا آلاف الأبيات القديمة وغير القديمة قبل أن ينشروا في الصحف»، على أن بدر شاكر السياب إذا كان قد اكتفى بالتأمل والتفكير والحنن على حالة الشعر العربي؛ فإن الشاعر (خليل حاوي) تعدى حالة التأمل هذه فوصل إلى رتبة الفلسفة، دليل أنه فقد عقله قبل أن يتحدر، فقبل انتحاره بسنوات، لم يكن له من حديث سوى حديث الشعر وما آل إليه على يد (الشعراء) الجدد، لأنه بدأ حياته مجرد عامل في مهنة، حيث لم يكن يستطيع أن يحوز لقب (معلم) قبل مضي عشرين عاماً على الأقل، فقد كان يقارن بين هذه المهنة ذات التقاليد الرصينة، ومهنة الشعر التي تسببت في زمانه كما يقول: «انظروا إلى هذا الغلام الذي تطلق عليه الصحافة لقب شاعر كبير وهو ليس من الشعر في شيء»، ولا يتردد الذين عرفوا بعد ذلك بواقعة انتحار (خليل حاوي) في القول إنه لاشك في أن من بين الأسباب التي أوصلته إلى الفلسفة ثم إلى الانتحار لاحقاً (فلتان الوضع الشعري) في زمانه، وهكذا يتبين أن رتبة الفلسفة لا تنال إلا بالمعاناة وإن اختلفت تجلياتها، فقد يحتفظ فيها المرء بعقله إن تنسوى على هذه الحالة وتقبضها، وقد يفقد فيها المرء عقله عندما يفقد قدرته على التحمل.

تحول فيه سقراط وعبد الوهاب، مسألة جدية بالدراسة والتأمل، هناك لحظة تنال فيها النفس رتبة جديدة لم تكن فيها في السابق، فما سر هذه الرتبة، وكيف يؤول إليها المرء؟

أولاً: يجب الإشارة إلى توفر خامة مرهفة، وشفافة في الذات تلتقط أبق الذبذبات من حولها، ثم تحويلها إلى مختبر داخلي للتحليل والتفحص، ولكن هذا المختبر ليس من الكفاءة حيث يفسر كل شيء، ويأتي (بما لم يستلعه الأوال) فقد يعجز ويصطب بالحيرة، فإذا هاجمه العجز وأطبق عليه، تحول صاحبه في البداية إلى ناقد أو مفكر، فإذا ناء هذا الناقد أو المفكر بالحمل الثقيل الذي أنقاه عليه مخترعه تحول إلى فيلسوف، أو إلى طارح أسئلة لا أجوبة لها، أو إلى ناقد يكلمات حكيمه تسربت إليه من نفس مشبعة بالمرارة والضييق.

وتجب الإشارة ثانياً إلى طول المعاناة والخبرة والتجربة، فلا يمكن للمرء أن يتحول إلى فيلسوف إذا رأى ثم مشى، عليه أن يرى ملياً وأن يحذق طويلاً في البلوى التي ابتلي بها، وأن يطيل النظر فيها أو إليها على غرار ما كان يفعله (المعري) وهو في الثالثة من سجنونه، ومع رتبة الفلسفة فقد قلت كثيراً في زماننا نظراً للضريبة الباهظة التي تتطلبها، فإنها لم تقدم كلياً، فيها هو (بدر شاكر السياب) على سبيل المثال يصل إلى مشارفها رغم صعوبة المرض الخطير الذي كان يعاني منه معاناة شديدة، فقد احترق قلبه في أواخر حياته، له على حالته الصحية وحدها، بل أيضاً على (صحة الشعر) التي كانت قد

د. رحيم هادي الشمخي

من الأحداث ما يزلزل النفس ويدفع بالمرء إلى أن يتحول إلى فيلسوف، فال يوناني (سقراط) كان مجرد متقف قبل أقرانه بزوجه، ولكنه تحول - كما يقول رواية سيرته - إلى فيلسوف بسبب (عقل) هذه الزوجة، ورواية سيرة الخليفة الأموي مروان بن عبد الملك يقولون: إن هذا الخليفة نكر يوماً أن الشيب غزارأسه لكثرة اللحن وصعود المنابر.

والمسكية والجامع الأموي والنقاشات والنويرة والفيقرية.

وأخيراً فإن من الممكن القول إن اشتقاق قناة القنوات يعود إلى العهد الروماني، وهي تتفرع عن مياه نهر بردى عند موقع الشادروان، ويشاهد المرء أن مجرى هذه القناة مكشوف خلال مسيرة مياهها بمدينة دمشق ولم تكن تخفي عن الأنظار إلا وسط حي القنوات وقد رفعت مياه قناة القنوات فوق قناطر، حتى يمكن إيصال مياهها إلى أكثر أنحاء مدينة دمشق القديمة ارتفاعاً، وذلك وفقاً لنظام يعرف باسم نظام الطوالع.

وقد حدثت تبدلات على تخديم مياه قناة قنوات بالعهد المملوكي والعثماني، فأصبحت المياه تغطي حاجات مدينة دمشق القديمة، وتمدها بالمياه اللازمة لدورها ومساجدها وحماماتها وبساتينها فضلاً عن مرافقها العامة، وذلك عبر شبكة تتماشى مع الطبيعة الجغرافية لدور دمشق وغوطتها على غاية من الدقة والتنظيم.

وقد جرى ذلك وفقاً لشبكة توزيع مياه محكمة، وهذه الشبكة تعود إلى العهد الآرامي ثم تطورت بالعهود اللاحقة، مع تطور احتياجات كل عصر من المياه، ولعل من الجدير بالذكر القول إن العرب نقلوا هذه الشبكة إلى الأندلس، وهي لا تزال قائمة إلى الآن بمنطقة اشيلية بالأندلس.

وقد وجدت هذه الشبكة بوقت لم يكن الإنسان يستخدم القساطل المقاومة للضغط ولا وسائل التحويل والتكبير المعروفة بهذه

والعمارة والقصاص والتجارة.

وبالانتقال إلى القنوات التي اشتقت عن يمين مجرى نهر بردى نجد أن قناة المزاوي والدراقي وبانبايس وقنوات، فتروي مياه قناة المزاوي أراضي المزة، ويكون مجرى مياه هذه القناة مكشوفاً، ثم يخفي عن الأنظار، إلا أن فتحات أو ضوايات تساعد على كرى القناة أو تعزيلها، وهكذا فإن مياه هذه القناة تخترق أراضي المزة، مكونة الحد الفاصل بين الأراضي المروية عن يمين مياه هذه القناة، والأراضي غير المروية عن يسارها.

أما قناة الدراقي، فتنسب إلى داريا، وقد اشتقت عن يمين نهر بردى بالقرب من موقع الشادروان، وبعد أن تشكلت أنفاقاً تتوجه إلى أراضي كفسوسة وداريا، وباب السريجة والفحامة وصولاً إلى أراضي حي الميدان.

وتعتبر قناة بانبايس أحد الشرايين المهمة التي تزود مدينة دمشق ومرافقها بالمياه، وهي تتفرع من مياه نهر بردى عند مخرجه من خانق البروة، فتأخذ مجراها مسيطرة المناطق المطلة على جبل المزة، ثم تنحدر إلى أسفل جامعة دمشق لتتوجه إلى منطقة التكية السليمانية وجامع تنكز وشارع رامي فسوق العتيق، حيث تحتفظ بمياهها مع مياه قناة نورا.

أما ما بقي من مياه قناة بانبايس، فينحدر نحو السجقدار والحريقة (سبدي عامود) والسروجية وقلعة دمشق فالشاغور.

كما يتجه قسم من مياه هذه القناة نحو منطقة السبع طوالع والبحرة الدفاقة